تفسير إبن كثير

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ

يقول تعالى : (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) أي : إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، لئلا يعاقب أحد بظلمه ، وهو لم تبلغه دعوة ، ولكن أعذرنا إلى الأمم ، وما عذبنا أحدا إلا بعد إرسال الرسل إليهم ، كما قال تعالى : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) [فاطر : 24] ، وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا االله واجتنبوا الطاغوت) [النحل : 36] ، وقال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) [الإسراء : 15] ، وقال تعالى : (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا) [الملك : 8 ، 9] والآيات في هذا كثيرة .وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : ويحتمل قوله تعالى : (بظلم) وجهين :أحدهما : ذلك من أجل أن ربك مهلك القرى بظلم أهلها بالشرك ونحوه ، وهم غافلون ، يقول : لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم من ينبههم على حجج االله عليهم ، وينذرهم عذاب االله يوم معادهم ، ولم يكن بالذي يؤاخذهم غفلة فيقولوا : (ما جاءنا من بشير ولا نذير)

[المائدة : 19] .والوجه الثاني : أن (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) يقول : لم يكن ربك ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر ، فيظلمهم بذلك ، والله غير ظلام لعبيده .ثم شرع يرجح الوجه الأول ، ولا شك أنه أقوى ، والله أعلم .